﴿وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾ [طه: 69]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الانتقال من ذكر الوعد بالعلوّ إلى ذكر وسائله

بعد أن نهى الله تعالى نبيَّه موسى ﷺ عن الخوف وطَمأَنَهُ، وبشَّره بأنّه سيعلو على ما جاء به السّحرة، ناسب أن يذكر ما عليه أن يفعله ليتحقَّق له ذلك؛ فأمره بإلقاء العصا التي في يمينه، التي ستكون سببًا في إبطال جميع ما صنعوا من السّحر، والتهام الحبال والعِصيِّ كلّها.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تَلۡقَفۡ﴾: جذر الكلمة هو (لقف)؛ ولقفتُ الشيءَ وتلقفتُهُ، إذا أخذتَه أو بَلَعْتَه، لَقِفْتُ الشّيءَ أَلْقَفُهُ، وتَلَقَّفْتُهُ: تناولته بالحِذْق، سواء في ذلك تناوله بالفم أو اليد، واللَّقْفُ: تناول شيء يُرمى به إليك، ورجل لَقْفٌ ثقفٌ؛ أي: سريع الفهم لما يُرمى إليه من كلام، أو رمي باليد، والتّلقُّف: الابتلاع[1]، والمعنى في الآية الكريمة: ابتلعتْها بسرعة.

2) ﴿كَيۡدُ﴾: أصل الكلمة هو (كيد)، والكَيْدُ: المَكْر، والاحتيال، وقد يكون مذمومًا أو ممدوحًا، وإن كان يُستعمل في المذموم أكثر[2]، والكَيْدُ: المعالجة، وكل شيء عالجتَه فأنت تكيده، وهو يَكيدُ بنفسه؛ أي: يَجود بها، وله معانٍ أخرى ذكرتْها المعاجم، ومعنى ﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ في الآية الكريمة: مكرُ ساحر.

3) ﴿يُفۡلِحُ﴾: جذر الكلمة هو (فلح)؛ وفلحتُ الأرضَ: شققتَها للزراعة والحرث، والعرب تقول: الحديدُ بالحديد يُفلح، ولذلك سُمّي

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مجمل اللّغة، وابن سيده، المُحكم: (لقف).
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مجمل اللغة، والأصفهانيّ، المفردات: (كيد).

الأكّار فلّاحًا، والفَلاح: الفوز والبقاء، وقول الرجل لامرأته: استفلحي بأمرك؛ معناه: فوزي بأمرك، والفلاح: السَّحورُ، والفَلْحُ والفَلاحُ بمعنًى، وقوله في الآية: ﴿وَلَا يُفْلِحُ﴾؛ أيْ: لا يفوز ولا يبلغ بُغيته.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

توجيهات الوحي بالثبات والإلقاء والثقة بالفلاح

يتوالى السياقُ في بيان تأييد الله تعالى لنبيِّه موسى ﷺ، وإرشادِه لما يجب عليه أن يقومَ به في مواجهة قوَّة المكر والخداع: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾؛ فالأمر بإلقاء العصا التي في يمينه، والتي ستكون محور القضيّة كلّها؛ والمراد بما في يمينه عصاه، كما جاء ذلك صريحًا في آيات أخرى منها قوله: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الشّعراء: 45]، والمعنى: (وأَلْقِ يا موسى ما في يمينك، تبتلعْ ما صنعه السّحرة من تمويه وتزوير جعل النَّاس يتوهَّمون أن حِبالَهم وعِصيَّهُم تسعى)، وقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ تعليل لقوله: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾، والتّقدير: (وأَلْقِ يا موسى عصاك تلقفْ ما صنعوه، فإنّ الذي صنعوه إنّما هو كيدٌ من جنس كيد السّحرة وصنعهم وتمويههم[1]، فإنّ هذا الجنس من النَّاس لا يفلح أبدًا حيث كان، وحيثما أقبل، وأنّى اتجه؛ لأنّه يصنع للنَّاس التّخييل والتّمويه والتّزوير والتّزييف للحقائق[2]، فالسَّاحر لا يفلح في الدّنيا ولا في الآخرة)، وهذا أفظع خسران لإنسان.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

نوعُ الواو ودلالتُها:

عطفُ الإنشاء على الخبر صورةٌ من صور البيانِ القرآنيّ

الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ للعطف والوصل، وذلك لتحقق الشّرطين بين الجملتين وهما (الاتصال والمُغايرة) فالعلاقة

(1) طنطاوي، الوسيط: 9/ 125.
(2) طنطاوي، الوسيط: 9/ 126.

المعنويّة بين الجملتين قائمة؛ لأنّ قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾؛ جاءت وسيلةً لتحقيق العلوّ على الخصوم في قوله: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، أمَّا المُغايرة فقائمة؛ لأنّ الجملة الأولى خبرية والثّانية إنشائية، وهذا الحال بين الجملتين يسميه البلاغيون التّوسط بين كمال الانقطاع وكمال الاتّصال.

غرضُ الأمر:

هولُ الموقفِ قد يُبطئ بالمؤمنِ ما يجب عليه فعله

الغرض من فعل الأمر في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ هو توجيه نبيّ الله موسى عليه السلام أن يبادر إلى إلقاء عصاه لِتَقعَ الآيةُ الكبرى أمام فرعون وحاشيته وجنوده، وفيه تثبيتٌ لقلبه عليه السلام في موقف المناظرة الكبرى.

لطيفةٌ في استتارِ الضّمير:

اكتناه المعجزة عند ظهورها باليُسر التّام

في قوله: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾؛ أي وألْقِ أنت يا موسى، فالمراد بالضّمير المستَتر موسى عليه السلام؛ لأنّه هو المُخاطب، وأنّ الفعل لا بدّ أن يأتي من خلال الإلقاء؛ لتكون المعجزة سائرةً على يده، أو على يمينه، فاستتار الضّمير (أنت) دلّ على التّيسير الذي اكتُنِهَ به فِعْلُ موسى عليه السلام؛ لتظهرَ على يده أعظمُ معجزات الدّنيا في ذلك الزّمان، وتلك البقعة من الأرض.

فائدة التّعبير بالاسم الموصول:

مهما صغُرت عصا موسى فهي أعظم من عصيّ السّحرة

عبّر النّظم الكريم عن العصا بـ ﴿مَا﴾ الموصولة في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾؛ دون الإفصاح عن اسمها، وفائدةُ هذا الإبهام: جائز أن يكون تصغيرًا لها، وتهوينًا لشأنها؛ أي: لا تبالِ بكثرة حِبالهم وعِصيِّهم، وألقِ العصا الوحيدة الصّغيرة التي في يمينك، فإنّها بقدرة الله تتلقفها على وحْدَتِها وكثرةِ غيرها، وصِغَرِها وعِظَمِ غيرها، وجائز أن يكون تعظيمًا لها؛ أي: لا يصيبنّك الخوف والهلع ممَّا ألقى السّحرة من الحبال والعصيّ الكثيرة، فإنّ في يمينك

شيئًا أعظم منها كلها، وهذه على كثرتها أقل شيء وأنزره عنده، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقّها[1].

دلالة شبه الجملة:

التّذكير بالنِّعم السّابقةِ تمهيدٌ للنِّعم اللّاحقة

كما أنَّ في هذا التّعبير ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾ تذكيرًا لموسى عليه السلام بيوم التّكليم؛ حين قال له ﷻ: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ [طه: 17]؛ ليحصل له الاطمئنان بأنّها ستؤول الآن إلى الحال التي صارت إليها يومئذ حيّة تسعى، ولذلك لم يقل له: (وألق عصاك)[2]، هذا فضلًا عن الإشارة إلى تعميم شأن ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾ فمهما كان الذي في يمين موسى، فإنّ الله سيُحيله إلى تلك الحيّة، التي ستلقف ما صنع السّحرة من الإفك والخداع؛ فمعجزة موسى غير مرتبطة قطعًا بماهيّة العصا، وإنّما هو فعل الله في شيءٍ سيُلقيه موسى بيمينه.

هذا فضلًا عن أنّ الله تعالى خاطب موسى بإلقاء أقرب ما يكون إليه، وهي عصاه التي اختارها بنفسه فيما سبق ليتوكّأ عليها، أو تعينه على فعل ما شاء من المآرب، فهي أقرب إليه وإلى نفسه، فلا يخافُ منها عندما تأتيه بالمعجزة، ثم ترجع إلى يمينه، بعد ما تلقف ما صنعته السّحرة.

براعة الكناية:

تعزيز الجانب النَّفسيّ قوّةٌ في مواجهة الباطل

قوله تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ﴾ كنايةٌ عن موصوفٍ هو العصا، وقرينة الكناية قوله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ [طه: 17 - 18]، ولم يأت التّركيب: (وألق عصاك)؛ لما في لفظ اليمين من معنى اليمن والبركة[3]، ولتقوية موسى عليه السلام بذكر يمينه، فهو أقوى أثرًا في هذا السّياق من ذكر العصا؛ لأنَّه سياقُ تحدٍّ ومواجهةٍ مع الباطل، كما أنَّ فيها إشارةً إلى أنَّ يمين الأنبياء مباركةٌ

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 76.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 260.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 356.

ببركة اتِّباع الوحي والعمل بمقتضى الشَّرع، فلو كان يمسك بأيّ شيءٍ كالحبل أو غيره، فإنّ المعجزة ستُظهر نفسها بمجرّد الإلقاء.

لطيفة في استعمالِ لفظ اليمين وإضافتها للمخاطب:

التّيامن في كلّ شيء سُنّة نبويّة

اختار النَّظم لفظَ: ﴿يَمِينِكَ﴾؛ لأنّ التّيامن سنّةٌ نبويّة، وهي سنّة الأنبياء جميعًا، وكان نبيّ الله موسى عليه السلام يُمسك عصاه بيمينه، فاقتضى أنّ الإلقاء لا بدّ أن يكون باليد اليُمنى؛ إذ لا يتناسب ظهور معجزة مع مخالفة سنّة نبويّة، وأُضيفت اليمين إلى ضمير المخاطَب: ﴿يَمِينِكَ﴾ العائد على موسى عليه السلام؛ لتشريف يمين موسى عليه السلام، وأنَّه يصدُر عنها المعجزات.

الارتباطُ بين فعل الأمر وجوابه:

بمجرَّدِ الإلقاء يقع الابتلاعُ

جملة ﴿تَلْقَفْ﴾ جواب طلب فعلِ ﴿وَأَلْقِ﴾، وفائدته بيان الارتباط المباشر بين الإلقاء والتّلقّف لما صنعه السّحرة؛ فهو كارتباط النّبيّ بالمُعجزة؛ فالنّبيّ لا يبذل جهدًا في إظهار المُعجزة، وإنّما هو أمر الله وفعله في الوقت ذاته، وإنّما يظهر ذلك فحسب على يد النّبيّ عليه السلام، فبمجرد الإلقاءِ يقع اللقفُ والابتلاع.

نكتةُ إضمار المقصود:

معجزة الله قائمة بفعل الإلقاء لا بحقيقة العصا

أُضمر الفاعل في قوله تعالى: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ وهو (العصا) للعلم به، ولعدم توجيه الاهتمام بالعصا، وإبراز جانب المعجزة نفسها، وفعل اللّه تعالى فيها، فمهما كان الذي في يمين موسى فإن المعجزة قائمة، وفعل الله في التقاف ما صنع السّحرة واقعٌ حتمًا.

تعيينُ المقصود بالتّأنيث في فعل: ﴿تَلْقَفْ﴾:

مناسبة التّأنيث للعصا والحيّة معًا

جاء فعل ﴿تَلْقَفْ﴾ مؤنَّثًا، والمراد العصا أو الحيّة التي تحوّلت عن العصا، مع أنّ الآية لم تصرّح بها، وقد عُلم في موضع آخر من القرآن الكريم أنّ ما في يمين موسى عليه السلام هي العصا، التي كان يتّكئ عليها، فناسب التّأنيث بقوله: ﴿تَلْقَفْ﴾؛ للعصا أوّلًا، والحيّة التي

تحوّلت عنها العصا ثانيًا، فدلَّ التَّأنيث على احتمال إرادة العصا أو الحيَّة، والصَّحيح أنَّه عائدٌ على الاثنين؛ فعاد على العصا أوّلًا باعتبارِها في يمينه، وعلى الحيَّة باعتبارِها تلقف، كأنَّه قال: ألقِ العصا تلقف ما صنعوا بعد أن تتحول إلى حيَّةٍ تسعى.

توجيه القراءات القرآنيّة:

غـرضُ انـقـلاب العصا حيّةً هو ابـتـلاءُ صنيع السّحرة

في قوله تعالى: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾، قرأ الجمهور بتشديد القاف وبجزم الفاء ﴿تَلَقَّفْ﴾ في جواب قوله: ﴿وَأَلْقِ﴾، وقرأ ابن ذكوان ﴿تَلَقَّفُ مَا﴾ برَفْع الفاء، وخفَّفَ القافَ حفصٌ وحده، وسَكَّن اللَّام ﴿تَلْقَفْ﴾ وقرأ البَزّي وصلا بخُلف عنه بتشديد التاء[1]. وعلى قراءة ﴿تَلَقَّفُ﴾ بالرفع تكون على الاستئناف أو على الحال[2]، والمعنى جعلها مُتَلَقفَة على حال متوقعة، ومثله قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر: 6]؛ أي: لا تَمنُنْ مستكثرًا؛ والمعنى أنّ هذه الحيّة وُجِدَتْ ليكون هذا حالها؛ متلقِّفةً لما صنع السّحرة، فلما استنفدت ذلك كلّه عادت لما كانت عليه، ومَنْ قَرَأَ ﴿تَلَقَّفْ﴾ جزمًا، أو ﴿تَلْقَفْ﴾ فعلى جواب الأمر[3]؛ فمن قرأ بالتشديد في القاف والجزم، فالأصل: (تَتَلَقَّفْ)، فحذف إحدى التائين تخفيفًا، فمن قرأ بالتخفيف جعله لَقِفَ الشيءَ يَلْقَفُ لَقفًا، إذا تَلَقَّفَهُ، ومن قرأ بتشديد التاء؛ فإنما أراد أن يشير إلى الأصل. وهما يرجعان إلى معنًى، بمعنى أنّك متى ألقيتها يا موسى فإنها ستلقف ما صنعوا من السّحر.

نكتة التّعبيرُ عن العصيّ والحبال بالاسم الموصول:

تلقّفت العصا جميع ما صنع السّحرة

عبّر النَّظم الكريم عن الحبال والعِصيِّ التي أَبهرتِ النَّاظرين في قوله تعالى: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾ بالاسم الموصول؛ للدلالة على

(1) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 154، وابن الجزري، النشر: 2/ 271، 321.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 76.
(3) الأزهريّ، معاني القراءات: 2/ 154.

التّهوين والتّحقير من شأن سحرهم، فضلًا عن فائدة أنّها أفادت التّعبير عن عموم ما صنعوا، دون ترك شيء منها، مع كثرتها.

علّة الفصلِ بين الجمل:

جملة ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ مستأنفة ابتدائيَّة[1]، وهي تعليلٌ لجوابِ الأمر؛ لأنّ ما صنعوا أهون بكثير مما يتخيّله البشر، وأنّ المعجزة النّبويّة هي أعظم ما يمكن أن يشهده بشر، فاقتضى ذلك الفصلَ بين الجملتين.

المعجزة النّبويّة هي أعظم حدث يمكن أن يشهده بشر

نوعُ (ما) ومعناها:

دلّت جملة ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ على الخبر البسيط لا على القَصْر، و(ما) هنا موصولة بمعنى الذي، والجملة مرَكبة من (إنّ) و(ما) الموصولة، و﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾ خبر (إنّ)، وكتب (إنما) في المصحف موصولة (إن) بـ(ما) الموصولة كما توصل بـ(ما) الكافة في نحو ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ﴾ [البقرة: 173][2]، فالمعنى: (إنَّ الذي صنعوا كيد ساحر)، وتحتمل أن تكون (ما) مصدريَّة، والمعنى: (إنَّ صُنْعَهم كيدُ ساحر).

(ما) بين أن تكون موصوليَّة أو مصدريَّة

سرّ اختيارِ لفظ ﴿صَنَعُواْۖ﴾:

معنى الصّناعة الإعداد المُسبق، والتّخطيط والدّراسة، وتدلّ الصّناعة أيضًا على الإتقان قال تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النّمل: 88]، وقد اختار النَّظم التَّعبير عن سحر السَّحرة بالصِّناعة؛ فعلى الرّغم ممَّا بذل هؤلاء السحرة من الجهد والتّعب في صنيعهم، وأنّهم أفرغوا خلاصة علمهم وطاقاتهم في السّحر، إلا أنهم خابوا وخسروا التّحدّي، وذهب صنيعهم في طيَّات الغيب، إذ ابتلعت عصا موسى كلّ شيء.

أفـرغ السّحرة خلاصة علمهم في كيدٍ باطل

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 260.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 260.

توجيه القراءات القرآنيّة:

قيمةُ السَّاحر في سحرِه، فإذا بطلَ تلاشتْ قيمتُه

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾؛ قرأ حمزة والكسائي وخَلفٌ بغير ألف ﴿سِحۡرٖۖ﴾، وقرأ الباقون: ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ على وزن فاعل[1]. وحجة من قرأ بألِفٍ أنه لمَّا أضيف إليه (الكيد) أتى بـ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ دون ﴿سِحۡرٖۖ﴾؛ لأنّ (الكيد) إنما يضاف إلى (الساحر) ولا يضاف إلى (السحر). وحجة من قرأ ﴿سِحۡرٖۖ﴾ بغير ألف أنه على إضمار، تقديره: (كيد ذي سِحْر)، فهي كالقراءة الأولى؛ أضيف (الكيد) إلى فاعل السحر فيهما[2].

ومن بلاغة القراءات هنا جمعها بين المُسبِّب والسبب، وهذا يُظهر أنّ حياة السَّاحر وأوقاته كلّها تكون مختصرةً فيما يصنعه من السّحر، ولهذا فإنّه لا يفلح في الدّنيا لخباثة ما يفعل، ولا يفلح في الآخرة لغضب اللّه عليه.

نكتةُ اختيارِ لفظِ ﴿كَيۡدُ﴾:

السَّاحر يودع كيده في سحره

الكيد هو ضرب من الاحتيال، ويُستعمل في الذَّمِّ والمدح، وهو في المذموم أكثر، ومعنى قوله تعالى: ﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾؛ أي سحره الذي صنعه وجاء به ليُظهره على النَّاس، وفيه دلالة أنّه صَنَع هذا السّحر بكيدٍ ومكرٍ، وأنّه أَوْدَعَ فيه كيدَه ليوهم النَّاس بالقدرة الفائقة القادرة على تغيير الأقدار، والتّحكّم بمصائر البشر.

دلالةُ الإضافة في قوله: ﴿كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾:

سحرُ السَّحرةِ كيدٌ دنيويٌّ وكفرٌ عقديٌّ

أضيف لفظ ﴿كَيۡدُ﴾ إلى لفظ ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾؛ باعتبار أنّ كلّ ساحرٍ لا يَخرج عملهُ أو صنيعُه عن هذا المكر وهذه المكيدة، فالسَّاحر في كل الأصقاع والأزمان هو نفسه، فلا فرْقَ بين واحدٍ وآخر؛ لأنّهم يدرُسون الكيد والمكر

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 321.
(2) مكي بن أبي طالب، الكشف: 2/ 102.

ويُعلّمونه لأمثالهم، قال تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: 102]؛ وهو فتنة وكفرٌ قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة: 102]، وقوله: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ [البقرة: 102]، فأفادت الإضافة أنَّ ما صنعوه لا يخرج عن كونه كيدًا يتلاشى مع تلاشي السِّحر.

غرضُ تنكير ﴿سَٰحِرٖۖ﴾:

تهويـن أمـر السِّحر وتحقيرُ مآله

ورد لفظ ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ منكّرًا من أجل تنكير المضاف، لا من أجل تنكيره في نفسه؛ كأنّه قيل: إن ما صنعوا كيدٌ سحريٌّ[1]، وغرضُه تحقيرُ الكيد وتهوينه، فهو لا يخرج عن كونه كيدًا يذهب مع بصيص الحقّ، ونور الإيمان، وأمَّا وصفه بالعظيم في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ١١٦﴾ [الأعراف: 116]، فالمراد به أنَّه سحرٌ عظيمٌ بالنسبةِ للنَّاسِ، وما يظهر للأعين بادي الأمر.

سرّ إفراد لفظ ﴿سَٰحِرٖۖ﴾:

المقصودُ بالسَّاحر الجنسُ لا معيَّن

إفرادُ ﴿سَٰحِرٖۖ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾؛ إفراد في موضع الجمع؛ لأنّ القصد في هذا الكلام متَّجهٌ إلى معنى الجنسية، لا إلى معنى العدد، فلو جمع، لتوهِّمَ أنّ المقصود هو العدد، وقوله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ﴾؛ أي هذا الجنس[2]، فسواءٌ أكان السَّاحر مفردًا أم جماعةً فإنَّه لا يفلح أبدًا.

دلالة عطف الجمل الخبريَّة:

صنعة السَّاحر تنكشف بالتّأمّل وثبات النّفس

جملة ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ من تمام الجملة التي قبلها ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ﴾؛ فهي معطوفة عليها، وحال من ضمير ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ﴾؛ أي لا يَنجحُ الساحر حيث كان، لأن صنعته تنكشف

(1) الزمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 76.
(2) الزمخشريّ، الكشَّاف: 3/ 76.

بالتأمل وثبات النفس في عدم التأثّر بها[1]، فدلّ ذلك على أنّ السَّاحر في أيّ مكان أو زمان لا يُفلح مهما صنع من السّحر، وأنجز من الخداع.

نكتة تعريف السَّاحر بعد إيراده نكرةً:

السَّاحر اسمٌ يصدقُ على كلّ صانعٍ للسّحر

جاء ذكر ساحر في الآية مرَّةً نكرة وأخرى معرفة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾؛ وهو تعريف جنس؛ أي لا يفلح بها كلّ ساحر مهما فعل، ومهما بلغ من قدرات السّحر وعلمه، ومهما عَظُمَ كيدُه، وهذا يدلُّ على إرادة العموم، أي كل ساحر.

فائدةُ اختيار الفعل ﴿أَتَىٰ﴾:

معظم سحرة فرعون أتوا من جهات عديدة

اختير فعل ﴿أَتَىٰ﴾ دون غيره في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ﴾، نحو: حيث (كانَ)، أو حَيث (حلّ)؛ لمراعاة كون معظم أولئك السّحرة مجلوبون من جهات مصر، ولرعاية فواصل الآيات الواقعة على حرف الألف المقصورة[2]، وتفيد (أتى) كثرة تغيير مكان السَّاحر؛ فهو لا يحل في مكانٍ واحد، فهو ينتقل من محل إلى محلّ لأسباب منها؛ خوف أن يبطش به النَّاس لما يأتي به من الإفساد في الأرض.

بلاغة الكناية:

تركيب (حيث أتى) كناية عن العمومِ الزَّمانيّ والمكانيّ

أفاد التركيب في قوله تعالى: ﴿حَيۡثُ أَتَىٰ﴾ عموم الأمكنة التي يحضرها، أي: بسحره[3]؛ إذ ينتقل السَّاحر من مكان إلى آخر طلبًا للرّكون إلى جهة قويّة، فهو يأتي لمكانٍ يبحث فيه عن قبولٍ لدى النَّاس، فإذا أتاه لم يفلح فيه، وهكذا، فهو كناية عن العموم المكاني والزماني، وهذا تأكيد للعموم المستفاد من وقوع النّكرة في سياق النّفي؛ لأنّ عموم الأشياء يستلزم عموم الأمكنة التي تقع فيها[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 260.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 261.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 261.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 261.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الإلقاء والقذف:

الإلقاء: يكون للتّعبير عن طرح الشّيء في المكان، ويكون قريبًا، والقَذْفُ: الرمي بالسّهم والحصى والكلام، والقذّافُ: المنجنيق[1]، وفي القذف قوّة تبلغ الهدف، أمَّا الإلقاء فهو لعمومِ الطَّرح؛ فلفظ القذف لا يناسب الآية؛ لأن المراد هو طرح العصا، وهي تلقف بإرادة خارقة، وهو ما يناسبه الإلقاء الذي يدلّ على طرح شيء في محلّه.

القذف يكون بقوّة المقذوف لتحقيق هدف، أمَّا الإلقاء فأَعَمُّ

اللَّقْف والابتلاع:

اللَّقْفُ: تَناوُلُ الشّيء يُرمى به إليك، وهو سرعة الأخذ لما يرمى إليك؛ باليد أو باللّسان[2]، ورجل لَقِفٌ؛ أي: سريعُ الفهم لما يرمى إليه من كلام باللّسان، وسريع الأخذ لما يرمى إليه باليد، واللّقف، مصدر لَقِفْتُ الشّيءَ؛ إذا أخذتَهُ فأكلتَهُ أو ابتلَعْتَه[3]، والبلع: ازْدِرادُ الشّيء، تقول: بَلَعْتُ الشّيءَ أبلَعُه، والبالوع من هذا لأنّه يبلع الماء[4]، والبَلّوعَةُ: حُفْرَة في الأَرْض تبتلع الماء[5]، وبَلَعَ الماءَ يَبْلَعُ بَلْعًا، أي شرب، وابتلعَ الطّعامَ، أي: لم يَمضغْهُ[6]، فمعنى اللقف في قول اللّه تعالى: ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾: أنّ العصا تَصَيَّدَتْ حبال السّحرة وعِصيَّهم واحدةً تلوَ الأخرى، فلم تُبقِ منها شيئًا، ومن معجزة هذه العصا أنّها تلقّفت دون أن يكون ثمة مظهرٌ لبلع هذه العصيّ والحبال.

اللقف التقاط الشّيء بالفم، والبلع ازدراد الشّيء

(1) الخليل، العين: 5/ 135.
(2) ابن سِيدَهْ، المُحكم: 6/ 418.
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: 9/ 131.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: 1/ 301.
(5) ابن دريد، جمهرة اللّغة: 1/ 366.
(6) الخليل، العين: 2/ 151.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»